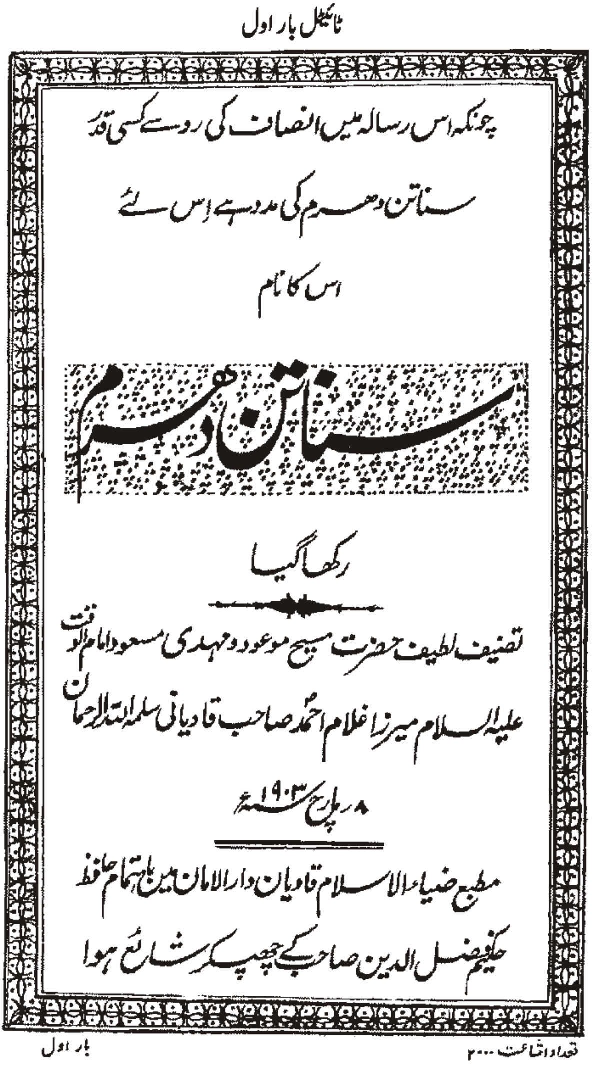
صورة غلاف الطبعة الأولى لهذا الكتاب



ٹائٹل بار اول

چونکہ اس رسالہ میں انصاف کی رو سے کسی قدر

سناتن دھرم کی مدد ہے اس لئے

اس کا نام

سناتن دھرم

رکھا گیا

تصنیف لطیف حضرت مسیح موعود و مہدی مسعود امام الوقت

علیہ السلام میرزا غلام احمد صاحب قادیانی سلمہ اللہ الرحمان

۸ مارچ ۱۹۰۳ء

مطبع ضیاء الاسلام قادیان دار الامان میں باہتمام حافظ

حکیم فضل الدین صاحب کے چھپ کر شائع ہوا

تعداد اشاعت ۲۰۰۰ بار اول

ترجمة غلاف الطبعة الأولى لهذا الكتاب

حيث إنّ في هذا الكتيب نوعا من التأييد لمذهب "سناتن دهرم" من باب العدل فقد سُمِّي الكتيِّب:

"سناتن دهرم"[١]

أي مذهب "سناتن"

****

التأليف المنيف لسيدنا المسيح الموعود والمهدي المسعود، إمام الوقت

الميرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام سلمه الله الرحمن

١٩٠٣/٣/٨م

****

طُبع في مطبعة "ضياء الإسلام" بقاديان دار الأمان بعدد ٢٠٠٠

تحت إشراف الحافظ الحكيم فضل الدين المحترم

****

[١] هو أحد مذاهب أو فروع الهندوسية. (المترجم)

قصيدة من المؤلف

ترجمة قصيدة أردية:

"يا أتباع مذهب آريا لا تعرِّضوا أنفسكم للعذاب، لماذا تورَّطتم يا أصدقائي في أفكار سخيفة؟!

ما الذي جرى لقلوبكم يا قوم الآريين؟! أمستيقظون أنتم أم في المنام تتحدثون؟!

أليس الله الحق بخالق أرواحكم؟! ليس في جوابكم هذا رائحة الإيمان

إن لم يخلق الله روح العشاق فلماذا يجدون في أنفسهم اضطرابا للغير

إذا كان ذلك الإله بعيدا وما مسَّ الأرواح، فمن كتَبه في كتاب القلوب؟!

الحرقة التي تشعر بها قلوب العشاق من أجله ﷻ لم نرها حتى في لحم يُشوى على النار

إنه يسقي جام الوصال من كان فانيا، ولا فرق في جنابه بين الشيخ والشاب

لا يحظى بوصاله إلا من يصير ترابا، ولا ينفع في هذا السبيل مجرد القيل والقال الظاهري

فهو يصبح لمن يصبح له ﷻ، والذي يخرّ على عتباته يكون في حضنه

انظروا إلى الزهور إن رونقها وبهاءها إنما هو بسببه هو ﷻ، وفي الشمس والقمر[١] يسطع نوره

في جمال الجميلين يسطع نوره، ما حقيقة الجمال؟! بل هو الذي يسطع في الحُجُب

إليه تشير كل خُصلة شعر، والبُعد عنه يسبب لها القلق والاضطراب المستديم

كل عين منتشية بعشقه تُري وجهه، وكل قلب يلتهبُ نتيجة عشقه

الأغبياء الذين لا يؤمنون بقدرته، يبحثون عن الماء في السراب عبثا

إنهم ينكرون قدرة ذلك القدير، ويهذون كالسكران من الخمر

لا يريدون أن يروا تلك الذات، خشية عتاب قومهم

فيا حبيبي أرني جمالك، حتامَ يبقى ذلك الوجه في الحجاب والنقاب؟!"

[١] ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (النور: ٣٦)

نحمده ونصلي على رسوله الكريم

"النيـوك"[1]

مع أنني كتبتُ عن "النيوك" في كتابي "نسيم الدعوة" بقدر ما كـــان مناسبا، وأعلم أنه مفيد جدا ويكفي من يبحث عن الحق، ولكنني سمعت من بعض الناس أن البانديت "رام بَجهدَت" زعيم مجلس آريا الديني في البنجاب ذكرني في خطابه الأخير في جلستهم في قاديان بعد أن وصـــله كتابي: "نسيم الدعوة" وقال عني: لو ناقشني في موضوع النيوك لأمكن لي أن أبين له فوائده كلها.

فأقول بكل احترام بأني قد بيّنت في كتابي "نسيم الدعوة" كل شيء بحسن النية بمقتضى الغيرة الإنسانية والضمير الإنساني الطاهر. وما كنت أقصد من ذلك مناظرة أو نقاشا بل كان قصدي هو النصيحة المبنية على

[1] إن ملخص تعليم "النيوك" هو أن أيّ شخص من الآريين لم يولَد له ولَدٌ ذَكر أو وُلدت له الإناث فقط، تأمره الفيدا أن يجعل زوجته تضاجع شخصـــا آخـــر للحصول على الأولاد، ولن ينال النجاة بغير ذلك. (المترجم)

المواساة. ولست وحيدا في ذلك بل هناك آلاف الهندوس والملتزمـــون بمذهب السيخ النبلاء أيضا الذين لا يجيزون أن تسوِّد امرأة متزوجة من عائلة شريفة وجهها مع شخص آخر في حياة زوجها لمجرد الطمـــع في الأولاد.

أما فوائد "النيوك"، ولعل البانديت يقصد منها الأولاد نتيجة النيوك بحيث يتولّد أحد عشر ولدا هكذا وتكثر الذرية؛ فأرجو ألا ينــــــزعج البانديت أن أولادًا مثلهم عارٌ على إنسان محترم وليسوا مفخرة. أرى أنه لو بقيت امرأة محصنة محرومة من الأولاد طيلة عمرها لكان موتهـــا دون أولاد خيرًا لها من أن تضاجع شخصا غير زوجها وتحصل علـــى أولاد يُدعَون أولادا غير شرعيين عند العقل. وإذا كان الصدق شيئا يُعتدّ بـــه فلماذا يُنسب إلى ذلك الديّوث الشقي الأولادُ الذين ليسوا من نطفتـــه؟ بل هم أولاد الذين وُلدوا من نطفتهم. ليت مثل هذه المرأة قد ماتـــت قبل الحصول على مثل هؤلاء الأولاد، فكان خيرا لهـــا. يجـــب علـــى البانديت "رام بَجهدَت" ألا يصر كثيرا على قضية "النيوك" المخجلة. بل لما كانت هذه المسألة تناقض الحياء الإنساني فالأنسب أن تُشطب مـــن مبادئ مذهب الآريا. وينبغي أن يُنشر إعلان عام أن البانديت ديانند قد ارتكب خطأ جسيما باختياره حياة العزوبة وبعدم شعوره بالغيرة الـــتي يشعر بها كل رجل شريف تجاه زوجه، لذا يشطبه مذهب آريـــا مـــن

مبادئه، ويجب أن يوقّع عليه أناس كثيرون حتى لا يجد معترض مجالا للاعتراض بعد ذلك، وإلا فليعلموا أن مبدأ النيوك وصمة عار على مذهبهم. ولا أرى أن السيدات المطهَّرات مستعدات للنيوك، بل أخشى أن تموت امرأة بتناول السم نتيجة إكراهها على النيوك[١].

فيا أيها السادة، عليكم أن تجتثُّوا هذا البلاء من قومكم سريعا – دعُوكم عن أشياء أخرى– ولا تحمِّلوا الفيدا مسؤوليته دون مبرر. لا تتوقعوا أن يقبله نبلاء الهند ونبيلاتها وشرفاؤها وشريفاتها. بل يبدو لي أن عادة التبنِّي تطرقت إلى الديانة الهندوسية بسبب عادة النيوك فقط. بمعنى أنه حين رأى الشرفاء والشريفات أن هذا تقليد نجس اختاروا تقليد التبنّي بدلا منه، ولم تقبل شهامة الرجال أن يجعلوا نساءهم يعملن بطريق النيوك المخجل، لذا أحبوا أن يتخذوا المتبنّى. وإن كان التبنّي أيضا نوع من التصنُّع ولكنه أفضل ألف مرة من هذه الوقاحة والتقليد السيّء على أية حال. النيوك عادة نجسة ووقحة لدرجةٍ إذا قيل عندها لشخص من أحط الفئات الاجتماعية أن يجعل زوجته تفعل ذلك، لاستعد على أنْ يقتل القائل أو يُقتل هو. فكيف لا نتأسف على الآريين

[١] السيدات في الهند ظللن إلى الآن على علاقة مخلصة وصادقة مع أزواجهن لدرجة أهن ظللن يحرقن أنفسهن من أجلهم. ولكن كيف يمكن للمرأة التي تضاجع آخرين، مع أن زوجها حيٌّ يُرزق، أن تحب زوجها على هذا النحو؟ منه.

إذ قبلوا مغمضين أعينهم ما قاله الباندیت دیانند إن أتباع "سناتن دهرم" أيضا إخوتهم من حيث القوم؟! أفلا يقرأون الفيدا منذ القِدم؟ فلماذا لا يحبون هذه العادة الوقحة؟

المؤسف في الموضوع أنه عندما يقال للآريين نُصحًا لهم أن يرتدعوا عن هذه العادة ولا يجعلوا نساءهم يمارسنها استاؤوا من ذلك. إن حالتهم غريبة حقا إذ لا يستحيون من هذه الفعلة شيئا. قبل بضعة أيام دعوت بعض الآريين إلى بيتي، وكان من بينهم شخص اسمه "كشن سنغ" الذي تنحّى عن اتّباع "باوا نانك" ساخطا، وانضم إلى مذهب آريا مؤخرا، تاركا شخصا كانت فيه الروحانية والطهارة وكان قلبه مليئا بحب إلهه، وبدأ يذكر بانديت ديانند كل حين. وكان معه "لاله شرمبت" و"لاله ملاوا مل" من قاديان، والبانديت "سوم راج" سكرتير آريا سماج في قاديان أيضا بالإضافة إلى بعض الهندوس من أتباع المذهب "سناتن دهرم". فنصحتُ لهم كثيرا وقلتُ بأنه ليس مناسبا لكم أن تطلبوا من نسائكم القيام بهذا العمل وخاصة في هذه القرية. فلزم الجميع الصمت وندموا ولكن قال البانديت "سوم راج": لا ضير في هذا الأمر. وعندما سمع أتباع مذهب سناتن دهرم الموجودون في المجلس أن هذا الشخص أجاز لزوجته هذه الفعلة الشنيعة في المجلس الحافل ولم يستحي مطلقا، بدأوا يقولون عفويا: يا إلهي! يا إلهي! أما بقية الآريين فغطّوا

وجوههم وضحكوا. ولعل قرابة ثلاثين شخصا كانوا موجودين حين تفوه هذا البانديت بتلك الكلمة المخجلة.

من المؤسف جدا أن الآريين لا يتركون هذه العادة الشنيعة بل يقولون ثائرين: ألا يمارس المسلمون المتعة، أيْ ألا يطلِّقون زوجاتهم؟ نصحتُ لهم كثيرا وقلت: يا مساكين، أين هذا العمل -بأن يسمح الزوج وهو حيٌّ لامرأته أن تقوم به- من الطلاق الذي هو معترف به عند الضرورة في العالم كله؟ ولكنهم لا يكادون يفقهون. إن أتباع مذهب "سناتن دهرم" الذين لديهم حياء وغيرة يكادون يموتون خجلا، إذ يُذنب قومٌ ويواجه قوم آخرون الندم بسببه. لقد قلنا لهم مرارا بأنه إذا نكح أحدٌ امرأة ثم طلّقها في وقت من الأوقات، أو إذا حدد موعدا للطلاق بأنه سوف يطلقها بعد مدة كذا وكذا، وهذا ما يعُدّه بعض الشيعة "متعة"، فهذا النكاح ليس له أدنى علاقة بعادتكم المذكورة آنفا. علمًا أن النكاح الذي يحدَّد فيه موعد الطلاق مسبقًا ممنوع في ديننا؛ إذ يمنعه القرآن الكريم بكل وضوح. كان أسلوب النكاح من هذا النوع يُعقد في العرب إلى وقت معين قبل الإسلام، ولكن القرآن الكريم منعه، فحُرِّم بعد نزول القرآن الكريم. غير أن هناك بعض فِرق الشيعة ما زالوا يعملون به، ولكنهم أسرى تقليد زمن الجاهلية، ولا يجوز لعاقل أن يشير إلى خطأ غيره بُغية التغطية على أخطائه. هل يُطلَق سراح مجرم لمجرد أنْ

يشير إلى جريمة غيره؟ لقد ورد في كلام الله تعالى تعليم صريح عن النكاح و لم يُذكر فيه نكاح يقول فيه الرجل بأني سأطلّق بعد مدة كذا وكذا. وفي هذه الحالة يقع اعتراضهم على الطلاق، وليست في الدنيا فِرقة تعارض الطلاق، فالمرء يضطر إليه في بعض الأحيان لضرورة ما.

باختصار، حين يُمنع الآريون من هذه الفعلة المخجلة يقولون بشيء من الندامة: الطلاق موجود عند المسلمين أيضا.

فيا أيها المساكين، في أيّ دين لا يوجد طلاق؟ فإذا حدث اختلاف شديد بين الرجل والمرأة فما السبيل إلا الطلاق؟ فالأنسب لكم ألا تقولوا مثل هذا الكلام، واتركوا "النيوك". ما الفائدة من القول بأن في النيوك فوائد وأسرارا كثيرة؟ عليكم أن تجتنبوا هذه العادة في أيام الطاعون على الأقل خشية أن يتفشى هذا البلاء أكثر نتيجة هذه التصرفات. ولكن من المؤسف حقا أن بذاءة اللسان قد تعاظمت في الآريين كثيرا على الرغم من عادة النيوك التي كان يجب أن يخجلوا بسببها. لقد قابلني بعض الآريين المحترمين بمناسبة جلستهم الحالية في قاديان واعترفوا بأنه قد استُخدمت فيها لغة بذيئة جدا. خاصة وقد ذَكر معظمهم شخصا معينا وقالوا بأنه كان شريرا وسليط اللسان بوجه خاص.

فليكن واضحا أنه ليس المراد من الدين توجيه الاعتراضات دون تفكير رصين وإضفاءُ جوٍّ على الجلسة بالاستهزاء والسخرية مثل المهرّجين. لا يستقيم أيّ دين بهذه الطريقة. والطريق الأمثل للنبلاء هو أن يعترضوا على المبادئ التي تشيعها الفرقة الأخرى نفسها، ولكن يجب ألا يعترضوا على كتاب سماوي لقوم ما لم يكن لديهم إلمام كامل واطلاع شامل عليه بأدلة كاملة. خذوا مسألة "النيوك" مثلا، فمما لا شك فيه أن ضمير الإنسان لا يقبل وقاحةَ أن تضاجع زوجته، مع كونه حيا، شخصا آخر ليس مرة أو مرتين بل إلى ١٢ أو ١٣ عاما أي ما لم تُنجب أحد عشر ولدا. وكل فطرة سليمة تأنف هذا الأمر. والحق أنه ما من وقاحة أكبر من ذلك، ولن يقبل أيّ ذي حياء أن يرى في حياته امرأته في هذه الحالة. ولكن يجب ألا تظن أبدا جماعتنا التي أُسِّست لإقامة التقوى أنه تعليم الفيدا. في رأيي، هذا ليس تعليم الفيدا قط بل أعلم جيدا أنه يمكن أن يُستنتَج من عبارة أو جملة واحدة عشرون معنى أحيانا. ففي مثل هذه المواضع يختلق شخص سيّء معنى سيئا من عنده ويستنبط شخص ذو طبع طاهر معنى طاهرا. هناك أناس يريدون أن ينشروا الفاحشة في القوم بُغية إشباع أهوائهم النفسانية. فيقدمون من كتاب يعُدّه القوم كتابا سماويا عبارة أو آية بُغية إيجاد العذر لأنفسهم وبذلك يُهلكون قليلي الفهم. فمن واجب جماعتنا أن يبتعدوا دائما عن

هذه الطرق والأساليب لأنها بعيدة عن الحـــذر والتقـــوى. الحـــق أن الاعتراض على المبادئ التي توجد بين جميع الأقـــوام تقريبـــا كقاســـم مشترك ليس إلا جهلا وتعنتا بحتا يمارسه الآريون. فمثلا، الاعتراض على الزواج المتعدد والطلاق عند الضرورة وغيرها من الأمور التي تشـــكّل قاسما مشتركا بين الأمم كلها، ليس عمل إنسان نبيل؛ لأن هذه الأمور موجودة في كل قوم.

والحق أن هناك أمرين جديرين بالاعتراض؛

الأول: الأرواح والأجسام ليست خلق الله، بل هي آلـــهةُ نفسِـــها مثل الله تعالى تماما وهي أزلية.

والأمر الثاني والمخجل هو ما يسمَّى "النيوك"، ولكن هذا الاعتراض ليس على الفيدا بل على البانديت "ديانند" الذي روّج مذهبا مثله.

فلتنتبه جماعتنا جيدا إلى ألا تتفوه بكلمة أكثر مما يقتضـــيه الحـــذر والحيطة. صحيح أن في الآريين أناسا كثيرين ذوي ألسنة حِداد، فـــلا ينتبهون عند الاعتراض إلى أيّ مدى بحثوا في صحة الاعتـــراض، بـــل يقولون ما يشاؤون تاركين الكلام على عواهنـــه؛ لأن هـــدفهم هـــو الاستهزاء والسخرية وليس التحقيق. بعضهم ينظـــرون إلى كتـــاب الله نظرة سطحية فقط ويعترضون فورا دون أن يعقلوا بما فيه الكفايـــة. لا شك أن كلام الله يتضمن استعارات في بعض الأماكن، ويضم في طياته

مجازا في أماكن أخرى، وبمناسبات أخرى يكون الهدف هو المعنى الحقيقي الظاهر. فما لم يعلم المرء علما كاملا، وما لم يكن قلبه نزيها، كان الاعتراض جهلا محضا. الواصلون إلى الله هم الذين يدركون معنى كلام الله على وجه الحقيقة. وإذا كان أحد غارقا في نجاسة الدنيا كليا وكانت عيناه عمياوين، وكان قلبه نجسا؛ فما حقيقة اعتراضه على كلام الله في هذه الحالة؟ يجب على المرء أن يطهّر قلبه أولا ويتخلى عن أهواء النفس ثم يتوجه إلى الاعتراض. فمثلا، جاء في القرآن الكريم: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى﴾[1]. فيمكن أن يعترض معترض مثله الذي لا يدرك منطوق كلام الله ويقول، انظروا! يقول دين المسلمين إن العميان لن ينالوا النجاة، فما ذنب الأعمى المسكين؟ ولكن الذي يقرأ القرآن الكريم بالإمعان متخليا عن العناد سيُدرك أنه ليس المراد من العميان هنا عميان الأعين بل المراد هم عميان القلوب. والمراد هو أن الذين لا يستطيعون أن يروا الله تعالى في هذه الدنيا لن يروه ﷻ في الآخرة أيضا. كذلك هناك مئات المجازات والاستعارات في كلام الله، والمدفوع بثورة النفس سوف يجعلها كلها عرضة للاعتراض.

[1] الإسراء: ٧٣

أقول حلفا بالله بأن الحق هو أنه يجب تنـــزيه القلب أولا من ثـــورة النفس لفهم كلام الله، عندها فقط سينـــزل عليه النور من الله، وبدون النور الباطني لا تُرى الحقيقة الأصلية، حيث يقول الله تعالى: ﴿لا يَمَسُّهُ إِلا الْمُطَهَّرُونَ﴾[1] أي أنه لَكلامٌ قدوسٍ وطاهرٍ فلن يدرك أحد أسراره ما لم تُطَهِّر نفسُه. كنت شابا وقد شِـــختُ الآن، ويســـتطيع النـــاس أن يشهدوا إذا شاؤوا بأني ما خضتُ في أمور الدنيا بل ظللـــت راغبـــا في الأمور الدينية دائما، وقد وجدتُ هذا الكلام الذي اسمه القرآن الكريم طاهرا ومليئا بالحِكَم الروحانية إلى أقصى الدرجات؛ فلا يؤلِّـــه إنسانا، ولا يسبب اللوم والذم لله ﷻ حاسبا الأرواح والأجسام خارج نطـــاق خلقه ﷻ. البركة التي لنيلها يقبل المرءُ الدينَ ينـــزِّلها هذا الكلامُ علـــى قلبه، ويورثه فضله ﷻ. فأنّى لنا أن نعود إلى الظلمة بعـــد أن وجـــدنا النور؟ وكيف نعود عميانا بعد أن وجدنا الأعين؟

ولما كان تأييد الحق واجبي، اضطررت إلى القول هنا تأييدا للحـــق فقط بأن أتباع مذهب "سناتن دهرم" -إن تركنا بعض مبادئهم جانبا- أفضل بآلاف المرات من أتباع مذهب آريا، فهم لا يسيئون إلى إلـــههم قائلين بأننا متساوون معه لكوننا أزليين وغير مخلوقين، ولا يقبلون مسألة "النيوك" المخجلة أيضا. ولا يوجهون إلى الإسلام اعتراضات ســـخيفة

---

[1] الواقعة: ٨٠

لأنهم يعرفون أن مبادئه تشكِّل قاسما مشتركا بين جميع الأمم. معظمهم يتحلون بدماثة الأخلاق، ولا توجد فيهم حذلقة وشطارة وحِدّة خطيرة. أما الآريون مقابلهم فلا يجوز أن يمدحوا أنفسهم على أنهم لا يعبدون الأصنام، ولا يؤمنون بـ "الأوتار"؛ لأن الرهبان من أتباع "سناتن دهرم" الذين يحتلّون أعلى مرتبة في الدين أيضا لا يعبدون الأوثان. أما "الأوتار" فمعنى الأوتار في السنسكريتية هو الرسل أو الأنبياء، فهم الذين ينـزل فيهم نور الله. والحق أن مذهب سناتن دهرم لا يقول بعبادة الأنبياء، غير أنهم يقدّسونهم ويعظِّمونهم كثيرا ويحبونهم[1]. ولكني قرأت في بعض مجلات الآريين وجرائدهم أن بعض الأشرار منهم قد استهزأوا بالرسل واستخدموا بحقهم كلمات تنمّ عن سوء الأدب. وهذه ليست شيمة أناس طيبين. والحق أن بعض الآريين قد تجاوزوا الحدود في الحذلقة والتجاسر. وهذه الحذلقة والتجاسر يدل على أنهم كشجرة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، وهؤلاء القوم ليسوا

[1] إن حب الأبرار والصالحين واجب على المؤمن، وبذلك يتحقق شرط صحبة الصالحين. وأتباع مذهب سناتن دهرم لا يحبون الأنبياء السابقين فقط بل ينتظرون في هذا الزمن المليء بالمفاسد والذنوب أيضا نبيا أخيرا سيطهِّر الأرض من الذنب. فلا غرابة أن يؤمن السعداء منهم في وقت من الأوقات بهذه الجماعة الربانية بعد رؤية آيات الله، لأنه لا يوجد فيهم تعنت وتعصب إلا قليلا. منه.

متوجّهين إلى الروحانية. الدين لا يتسنّى بالتجاسر وحذلقة اللسان، بل يقتضي موتا يُعطَى المرءُ بعده روحًا حيَّةً.

من المؤسف أن بعض الآريين من ذوي الطبائع الحادة كالوا في جلستهم في قاديان شتائم للإسلام كالمهرجين دون أن يكون لديهم أدنى إلمام بأمور الدين[١]. لو كانت نيتهم صالحة لكتبوا إليّ أن لدينا اعتراضا كذا وكذا على الإسلام. فمع أنني لا أستطيع الحضور في مثل هذه المجالس، ولكن كنت أستطيع أن أقنعهم بالرد على شبهاتهم باللين والكلام المنير. ولكنهم رجعوا من قاديان كما جاؤوا تماما بل ذهبوا حاملين على رؤوسهم كومة من الحذلقة والوقاحة وبذاءة اللسان. ولكني مع ذلك بلّغتهم الدعوة بتأليف كتاب "نسيم الدعوة" في بضعة أيام. فلو اهتدى ولو واحد منهم لنلتُ أجرا.

[١] إن هؤلاء القوم لم يستخدموا لسانا بذيئا ضد الإسلام فحسب، بل شجبوا كثيرا مبادئ "سناتن دهرم" المقدسة أيضا، وآذوا كثيرا قلوب الهندوس المساكين الذين يتبعون "سناتن دهرم"، وهاجموا المسيحية أيضا بغير حق بحسب عادتهم. تجاوُز الحدود عند الهجوم عادة شيطانية. صحيح أن عيسى عليه السلام ليس إلها، ولكنه نبي الله ورسوله الحبيب لديه عز وجل. وصحيح أن الراجا "رام شندر" والراجا "كرشنا" ما كانا إلهين في الحقيقة، ولكن مما لا شك فيه أنهما كانا صالحين وواصلَين إلى الله تعالى وكانا رسولَيه عز وجل. لقد تجلّى الله تعالى عليهما بتجلٍّ نوراني، لذا سُمِّيا رسولَين. منه.

الخاتمة

لقد بيّنت في كتاب "نسيم الدعوة" أن كل دين يُختبَر بثلاث طرق؛

أولا: ماذا يقول عن الله. من المؤسف أن مبادئ مذهب آريا لا تعُدّ الإله مصدر كل الأشياء الموجودة بل يحسبون كل شيء قديما وأزليا جاء إلى حيّز الوجود من تلقاء نفسه مثل الله، ويعتقدون أن الله لم يخلق هذه الأشياء ولا قواها. فيتبين من ذلك أن إله الآريين ليس إلـــها في الحقيقة، وإلا كان ضروريا أن يبتدئ كل شيء منه. أيّة مهزلة أن يُـــدعَى هـــو إلـــها وتأتي الأشياء كلها إلى حيزّ الوجود من تلقائها؟ كيف للشـــيء الذي لم يخلقه الله أن يكون تحت تصرفه؟ هل من الآريين أحد يستطيع أن يخبرنا سبب هذه السيطرة غير المبررة؟! إن سلطانه على الأشياء التي لم يخلقها ظلمٌ محضٌ. فإذا اهم الآريون أتباعَ سناتن دهرم بعبادة الأوثان فإن التهمة نفسها تقع على الآريين بشدة أكبر من حيـــث اعتقـــادهم المذكور، لأن عبدة الأوثان لا يعُدّون أوثانهم وأصـــنامهم آلهـــة وأنهـــا وُجدت من تلقائها، وإنما يعتقدون أن الإله قد أعطى أصنامهم ورسلهم قوى كبيرة جدا وبسببها يقضون حاجات الناس. فمع أن هذا الكـــلام أيضا غير صحيح، بل إنّ قاضي الحاجات هو الله وحده. والذي يصـــير مطيعا صادقا لربه تعالى ضاربا كل شيء عُرض الحائط هو الذي ينـــال

العزة في الدنيا والآخرة وهو الذي يبارَك له. فيأتيه في كل حين وآن من ذلك الإله القدوس صوت: لو صرتَ لي لصار العالَـــم كله لك. وهذا ما جربته شخصيا وأنا على ذلك من الشاهدين. والذي يفنى في حبـــه وينال كيانا جديدا محترقا بنار حبه، فحين يدخل تلك النارَ تصبح كـــل الأشياء في الأرض والسماء التي يعبدها الآخرون خادمةً لـــه وتُســـخَّر لخدمته.

حاصل الكلام أنه من خطأ أتباع سناتن دهرم على أية حـــال أنهـــم يطلبون تحقيق أمنياتهم من أشياء مثلهم، ولا يستفيدون من النور الحـــي والساطع الذي أمامهم وليس منهم ببعيد، بل هو أقرب إليهم كثيرا من أصنامهم التي نحتوها بأنفسهم، غير أنهم يؤمنون بأن الله خـــالق كـــل شيء، ولم يوجَد شيء بدونه. يبدو أن هذا كان تعليم الفيدا الـــذي لم ينسه أتباع سناتن دهرم إلى الآن. يبدو لي أنه الأقرب إلى القياس، بالنظر إلى عبارات الرهبان ورجال الدين الذين قاموا بمجاهـــدات طويلـــة في الفلوات والبراري، بحيث أن حقيقة الفيدا انكشفت علـــيهم، لـــذا لم يعُدّوا، مثل الآريين، الأرواحَ والأجسام أزلية وموجـــودة مـــن تلقـــاء نفسها، بل كانوا يعتقدون كما يبدو من عباراتهم أن كل شيء خـــرج من الله أي هي كلماته. هذا ما ذهب إليه الإسلام أيضا. (يقول مَثـــل بنجابي ما مفاده: مئة من العقلاء يتمسكون برأي صائب واحد، أمـــا

الأغبياء فيختلفون في كل شيء) ما كانوا يجعلون مدار الدين على حذلقة اللسان فقط مثل الآريين، بل كانوا يبحثون عن إلههم بالمجاهدات والمشقة والذكر والسعي وبصدق القلب، وكانوا يقومون بالمجاهدات الشاقة في الفلوات والبراري حتى يُضمرون أبدانهم بسبب كثرة الصيام. وكانوا يعلّقون قلوبهم بإلههم منزوين إلى زاوية الخلوة، عندها كان يتجلى عليهم ذلك النور الأزلي الذي له تسميات مختلفة في لغات مختلفة مثل "برميشور"، و"God" و"خدا" و"الله". لم يقولوا قط بأن إلهام الله ووحيه مقتصر على الفيدا فقط ثم سُدّت وقُفلت أبواب مكالمة الله في المستقبل في وجه الإنسان، بل كان الله تعالى يكلّمهم وكانت أمور الغيب تُكشف عليهم.

والحق أنه لو لم يبال الله بالباحثين عن الحق -الذين يكادون يموتون ويضحون بكل شيء في سبيله- وأبدى الفتور تجاههم ولم يتجلّ عليهم وبقي خافيا ولم يسمعوا كلامه أيضا لماتوا وهم أحياء، ولَمَا كان في الدنيا شقيّ مثلهم حيث أنهم تركوا الدنيا من أجل الإله ولم يجدوه أيضا، وبذلك خسروا كِلا العالَمَين. ولكن هل لصديق أن يفعل ذلك مع صديقه؟ كلا. هناك مَثل هندي يقول ما معناه: إن كِلا الجانبين يحترق في نار الحب معا. يُبتلى أحد بالعشق المجازي ويجذب إليه حبيبه باطنيا ليل نهار بالألم والحرقة إلى مدة. عندها تنزل شعلة الحب بغتة -

بشرط ألا يكون الحب بُغية إشباع الشهوة- على قلب حبيبه الذي كان غافلا عن الحب إلى ذلك الحين، فينال الحبيب أيضا نصيبا من ذلك الألم وكأن آلام ذلك العاشق وتأوهاته التي يواجهها ليل نهار تعمل في الحبيب عمل السحر. عندها ينجذب قلبه إلى العاشق ويقع في قلبه لأسباب غير معروفة أن هذا الشخص يحبني. ثم لا يقتصر الأمر على الوقوع في القلب بل يصبح أسير حبه ويتعلق القلبُ بالقلب، وكأنهما يصبحان شخصا واحدا.

واللافت في الموضوع أن الحبيب يطّلع على ذلك الحب حتما، وإنْ سَتَره المحب بآلاف الحُجُب. عندئذ تفهم الدنيا أيضا التي تلاحق الجميع كالجواسيس أنهما متحابان. وهذا الحب إذا كان طاهرا ونزيها في الحقيقة دون أن تشوبه شائبة إشباع الشهوة الخبيثة يوصل كليهما إلى مرتبة ينجذب فيها قلب كل واحد منهما إلى الآخر. ولا يستقر لهما قرار بدون رؤية بعضهما بعضا، ولا يعرفان من أين وكيف نشأ هذا الجذب. على أية حال يريد قلباهما الطاهران أن ينالا على الأقل حظا من الكلام معًا ويرى بعضهما بعضا ولو قليلا، بل يضطرب قلبهما من أجل مكالمة واحدة على الأقل ولو ماتا بعد ذلك. فالعشق المجازي مآله أن الكلام بين الاثنين هو ذروة كماله. فاللعنة على دين لا يعِد مَن يحبّ الله بهذا القدر أيضا بأن يحظى بمكالمته كما يحظى المحب المجازي بمكالمة

حبيبه. من المؤسف أن هؤلاء الناس لا يعتنقون هذا الاعتقاد، ولكني لا أقبل أن الفيدات أرادت أن تحرم الإنسان من مرتبة المكالمة هذه، بل هذا خطأ هؤلاء القوم وليس خطأ الفيدا.

أقول صدقا وحقا بأن الدين الحقيقي هو ذلك الذي يوصل صاحبه إلى الله تعالى ويجعله يتذوق طعم مكالمته، وإلا فإن مَثله كمثل إدخال اليد في روث لا يوجد فيه إلا النجاسة.

والطريق الثاني لاختبار الدين هو أن الدين الصادق كما يُنشئ العلاقة مع الله كذلك يبثّ الطهارة في القوم. لقد كتبت من قبل أن مذهب آريا سماج لا يُنشئ العلاقة مع الله بل وينكر علاقة الخالقية أيضا التي تحظى بها كل روح مع إلهها كونه خالقها. أما علامة الطهارة فظاهرة من تعليم النيوك!! واها لك يا "سناتن دهرم" إذ لم تحسب كل ذرة وكل روح إله نفسها ولم تُدخل نجاسة النيوك في معتقداتك! فأقول صدقا وحقا بأنك لو خطوتَ إلى الأمام قليلا لتكون كالرهبان الواصلين بالله الذين يُملؤون بحبه، واقتربتَ إليه ورفضت عبادة الأوثان أيضا؛ لكان لك الفتح مقابل الآريين في كل موطن. عندها سيواجهونك من طريق واحد ويفرون مدبرين من سبعة طرق. وهذا ليس بأمر جديد بل هذا هو مذهب الرهبان الذين يحترقون في نار الحب منذ القِدم إذ يعتقدون أنه لا أهمية لأي شيء سوى الإله.

والطريق الثالث لاختبار الدين الحق هو أن يرى المرء إلى أيّ مـــدى يخلّص من قذارة الدنيا ويوصل إلى الله تعالى ويُري وجه ذلك القـــدوس عيانا. إن مذهب الآريين محروم من هذه المرتبة كليـــا، لـــذا لـــيس في نصيبهم إلا الشتائم وبذاءة اللسان والإساءة. وإن مبادئهم ليست نزيهة فيما يتعلق بالإله والطهارة القومية، ولا يوجد فيهم نصيب من البركات التي يُعطاها أهل الله. لقد سمعتُ أن أتباع سناتن دهرم في قاديان يريدون أن يعقدوا في قاديان جلسة لدحض وتفنيد مبدأين للآريين عـــن عـــدم قدرة الإله وعن النيوك. وأرى مناسبا أن يدعمهم أتباعُ سناتن دهرم من مدن أخرى أيضا. وإذا رأينا مناسبا نظرا إلى الظروف الراهنة فلنَنصرنّهم نحن أيضا.

والسلام

العبد المتواضع

ميرزا غلام أحمد القادياني